

من المسئول عن تحديد جنس الوليد؟

يطالعنا التاريخ بأن المرغوب في الحمل عند العرب، بوجه عام، هو الولد الذكر؛ ذلك لأنهم كانوا قوم عصبية وحروب، ورغبتهم في الذكر مستمدة من طبيعة حياتهم^(١)، ولذلك كان العربي، في الجاهلية، يغضب إذا ولدت زوجته البنات، وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك في أنصع بيان وأوجزه، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩﴾ النحل: ٥٨ - ٥٩. وقد ورد أيضا في سورة الزخرف من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ١٥ أَمْ آتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ١٦ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ١٧﴾ الزخرف: ١٥ - ١٧.

(١) د. عبد السلام الترماني (١٩٨٤). الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام. سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. الكويت. ص ٢٢٠.

وهكذا، يحدث الزوج زوجته مسئولية إنجابها للبنات وعدم إنجابها للذكور، فقد يضربها، وربما أصر على الزواج من غيرها، وقد يصل به الغضب حداً يهجر معه زوجته، إذا هي ولدت له الأنثى، كما فعل أبو حمزة الضبي، فقد هجر خيمة زوجته، وأخذ يبيت عند جيران له؛ لأن امرأته ولدت بنتاً، فمر بخبائها يوماً، وإذا هي تُرقصها وهي تنشد:

ما لأبى حمزة لا يأتينا وهو فى البيت الذى يلينا
يغضب إن لم نلد البنينا والله ما ذلك فى أيدينا
وانما نأخذ ما أعطينا ونحن كالأرض لزارعينا
ننبت ما قد زرعوه فينا

وما إن سمع أبو حمزة هذا القول منها، حتى غلبه حنان الأبوة، فدخل البيت وقبّل رأس امرأته وابنتها!

ولابد لنا من الاعتراف بأننا قد ورثنا من أسلافنا هذه العادة البغيضة، فمن أصعب الصعوبات تغيير العادات الاجتماعية والموروثات الثقافية، وهى تتأصل وتتجذر وتزداد سوءاً، كلما أطبق الجهل، واستحكم الانغلاق الفكرى، وقد تتعرض للتهاوى والضعف حينما يتفشى العلم؛ ليبدد بنوره ظلمات هذا الجهل، والتمسك بقيم وعادات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا نجد فى وصفهم وتقريعهم أبلغ مما وصفهم وقرعهم به القرآن العظيم، حيث جاء فيه من قول الله تعالى: ﴿يَكْفُرُ بِمَا يَكْفُرُ مِنْ

الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيَسْكُنُ عَلَى هُوٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ النحل : من الآية ٥٩ .

والحق أنى ما رأيت أمرا ينقلب فيها الحق إلى باطل ، والباطل إلى حق ، كهذا الأمر ! وسنستعين بالعلم ، الذى أفاض الله ببعضه على بعض عباده لنفند هذه القضية ؛ إن العلم وحده هو القادر على بيان الحقائق ، وتبديد الخرافات . ومن هذه الخرافات الجاهلية ، التى كانت سببا فى هدم بيوت كثيرة ، أو تمخضت عنها مشاكل على المستوى الشخصى بل والقومى ، «مقولة أن المرأة هى المسئولة عن جنس الجنين» ! فما حقيقة هذه المقولة ، التى قد يترتب عليها عواقب خطيرة ، كتعدد الزوجات ، أو طلاق الزوجة والتزوج بأخرى ، انتظارا لما قد تنجبه من الولد . وقد نلتمس بعض العذر ، لملك أمير ، يريد أن يورث عرشه لولد يخلفه ، بيد أن جل هذه المشاكل ينتشر بين قطاع من البشر ، الذين عادة لا يملكون من حطام الدنيا ما يورثونه لولدهم المنشودا وعلى النقيض ، فهم أحوج ما يكونون إلى الاستقرار ، والبعد عن ما يترتب على سلوكياتهم تلك ، التى قد تقلب حياتهم رأسا على عقب ، بينما أحوالهم المعيشية والاقتصادية لا تتحمل عواقب ذلك .

ونعود مرة أخرى إلى التاريخ ، فهذا أبو نخلة ، شاعر أموى ، تزوج امرأة من عشيرته ، فولدت له بنتا ، فغمه ذلك ، فطلقها تطليقة ثم ندم

وعاتبه قومه فراجعها. فبينما هو فى بيته يوما، إذ سمع صوت ابنته وأمها تلاعبها، فحركه ذلك ورق لها، فأخذها يُنْزِيها^(١) ويقول:
يا بنت من لم يك يهوى بنتا ما كنت إلا خمسة أو ستا
حتى حللت فى الحشا وحتى فتت قلبى من جوى فانفتتا
لأنت خير من غلام أنتا^(٢) يصبح مخمورا ويمسى سبتا^(٣)
وليس كل زوج، ممن اختبرهم الله بنعمة البنات، كأبى نخلة الشاعر، رقيق الشاعر، يثوب إلى رشده، ويرجع إلى صائب رأيه، فيراجع زوجه، ويلم شمله.

رأى الطب القديم:

فى رأى الطب القديم أن الحيوانات المنوية نوعان، وللمرأة أيضا بوقان، فإذا سقطت البويضة من اليمين أذكرت (أى أنتجت ذكرا)، وإذا سقطت من اليسار أنثت. وإفراز عنق الرحم ذو طبيعتين مختلفتين، إفراز حامض يجذب الحيوانات الأنثوية، وآخر قلوى يجذب الذكورية. ويمكن إخضاع المرأة لنظام غذائى معين للتحكم فى حموضة أو قلوية الإفرازات، فالإفرازات بالخل فى الأيام التى تلى العادة يوقف

(١) ينزِيها: يهزها فى مهدها.

(٢) مخففة من أنتا: منتفخ كبرا وتعاليا.

(٣) سبتا: السبت هو كثير النوم.

الإفرازات القلوية- و الاغتسال بكربونات الصوديوم يشجع الإفراز
القلوى، فإذا فعلت هذا فى فترة الخصوبة القصى عندما ترتفع درجة
الحرارة ارتفاعا ملموسا يمكن أن تختار المرأة جنس الجنين^(١).
وهذا الكلام فيه خلط بين الزائف والصحيح!

رأى العلم فى مسألة جنس المولود:

لقد فطنت زوجة أبى حمزة المتقدم ذكرها، بفطرتها النقية، إلى السبب
الحقيقى أو المباشر فى كون جنس المولود ذكرا أو أنثى، حينما قالت:
ونحن كالأرض لزارعينا
نفبت ما قد زرعه فىنا

وبيان ذلك على النحو التالى:

يشارك الرجل بنصف الثروة الوراثية فى ذريته، كما تشارك المرأة
بالنصف الآخر، إذ إن الجنين المتكون، بعد عملية الإخصاب، ينتج
من اتحاد بويضة الأنثى بالحيوان المنوى الذكرى. وباختصار شديد
فالمحدد لجنس الجنين- بقدرة الله تعالى- هو الرجل لا المرأة. فالمنى،
الذى تم قذفه فى مهبل الأنثى، يحتوى على الحيوانات المنوية، كما
أسلفنا. وهذه الحيوانات المنوية تنقسم إلى نوعين: النوع الأول يحمل

(١) د. محمد عبد المعطى الحتو (١٩٩٩). الإجهاض والاعتقاد. مدبولى الصغير.

العوامل الوراثية، التى عند مشاركة أحدها فى الإخصاب، تؤدى إلى إنتاج مولود ذكر. أما النوع الآخر من الحيوانات المنوية، فيحمل عوامل وراثية أخرى، تؤدى عند مشاركة أحدها فى الإخصاب، إلى إنتاج مولود أنثى.

أى إن مشاركة النوع الأول من الحيوانات المنوية ينتج عنه مولود ذكر، أما إذا شارك النوع الثانى فى الإخصاب كان المولود أنثى. وهذا يبين أن جنس المولود يتحدد منذ اللحظة التى يتم فيها الإخصاب، وهو متوقف على نوع الحيوان المنوى، الذى يأتى من الذكر، ولا دخل للبويضة ولا للأم، التى جاءت منها، فى تحديد جنس المولود، بأى حال، وقد أشار القرآن الكريم، فى ومضة معجزة، إلى ذلك حيث جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۚ﴾ (١٥) ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۚ﴾ (١٦) النجم: ٤٥ - ٤٦.

إلا أن هناك من لا حظ فى بعض الحالات أن البيئة الرحمية، قد تحفز وتنشط نوعا معينا من الحيوانات المنوية، بحيث تشجعه دون غيره، على القيام بعملية الإخصاب، إلا أن ذلك لم يتم حسمه وإثباته بشكل قاطع، ويستلزم بحوثا مستفيضة لإثباته إن كان يقع بالفعل. وحتى إن ثبت ذلك فسيظل الحيوان المنوى الذى يأتى من الرجل هو السبب المباشر فى تحديد جنس الوليد، بقدرة الله تعالى وتقديره.

وثمة بحوث أخرى، يحاول فيها منفذوها عزل النوعين المختلفين من الحيوانات المنوية، لإمكان التحكم فى جنس الجنين، بيد أنها

عمليات معقدة من الناحية التقنية، وهي عمليات مستنفدة للمال
 مستهلكة للجهود، فضلا عن أنها تفقد تجربة الانفعال التلقائي
 الطبيعي، بما يمنحنا الله به من عطاء، مع أن نتيجتها، في الوقت
 ذاته، ليست مضمونة تماما؛ ليتحقق قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ
 يَشَاءُ الذَّكَورَ ۖ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا
 إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾ الشورى: ٤٩ - ٥٠.